أحكام من القرآن الكريم

الجنة؛ حيث يقول: «من أسلم وجهه لله وهو محسن . وقوله: «أسلم وجهه لله »؛ أي: جعله مستسلما الله - عز وجل -
مقبلا عليه.

(وهو محسن» في أعماله؛ والإحسان هو اتباع شريعة النبي ﷺ
فشرط الله - سبحانه وتعالى ـ أمرين: الأمر الأول: الإخلاص؛ بأن يكون أسلم وجهه الله.
والثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ ؛ بأن يكون قد أحسن، فهذا له أجره عند ربه؛ أي: ثوابه، وسمّى الله الثواب أجرا؛ لأن الله ـ تعالى - التزم به لمن عمل صالحا؛ فصار بمنزلة الأجر الذي يستوفيه المستأجر على العمل وفله أجره عند ربه، ولا خوف عليهم * فيا يستقبل من أمرهم، (ولا هم يحزنون» على ما مضى من أمرهم.
فوائد وأحكام هاتين الآيتين:

في الآية الأولى من الفوائد والأحكام:
ا- بيان دعوى أهل الكتاب من اليهود والنصارى أنه لا يدخل الجنة إلا من كان مثلهم؛ يهوديا أو نصرانيا.
٢- ومن فوائدها وأحكامها: أن أهل الكتاب يؤمنون بالبعث

والجزاء؛ لأن الجنة إنما يدخلها أهلها بعد البعث يوم القيامة. ٣- ومن فوائدها وأحكامها: أن يقدم المناظر الحكم على قول مناظره، ثم يطلب منه الحجة على إثباته؛ ولهذا قال: «تلك أمانيهم

سورة البقرة

401

قل هاتوا برهتكم إن كنتم صدقين»، ونظير ذلك أن يقول قائل: هذا واجب لابد من فعله، فأقول: هذا قولك فهات دليلك إن كنت صادقا، فيثبت المناظر أولا أن هذا قول المناظر، وأن هذا ليس له أصل، ثم يتحداه بطلب الدليل.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: قوة المحاجة في كتاب الله ـ عز وجل - التي تدحض الخصم وتفحمه؛ تدحض حجته وتفحمه؛ ولهذا قال: وقل هاتوا برهتكم إن كنتم صدقين »، ومن المعلوم أنه لا برهان لهم في ذلك؛ فإن دخول الجنة ليس معلقا باليهودية أو النصرانية؛ بل هو معلق با ذكره الله ـ تعالى ـ فيما بعد.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: الإنصاف في معاملة الخصم، وإلا فإنه يكفي أن يقول الله ـ عز وجل ـ هذا باطل، ولكنه ـ سبحانه وتعالى ـ حكم عدل؛ فطلب من هؤلاء المدعين أن يأتوا بالحجة والبرهان. 6ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه لا تقبل الدعوى إلا ببينة؛ فمن ادعى ئكها من أحكام الله الأخروية أو أحكامه الدنيوية فإنه عليه أن يبرهن على ما قال، فإن أثبت ما قال بالبرهان والدليل وإلا وجب رده

عليه.
. ومن فوائدها وأحكامها: أن اليهود والنصارى لا حجة لهم إطلاقا فيها ادعوه من أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، وما أكثر دعاوى اليهود والنصارى بأنهم أهل الجنة، وبأنهم يخرجون

٤٠٢

أحكام من القرآن الكريم

من النار إن عذبوا بها، وبأنهم أبناء الله وأحباؤه، وكل هذه الدعاوى يبطلها الله - عز وجل -، ويبين كذبها.

أما الآية الثانية ففيها من الفوائد والأحكام: 1ـ أن الثواب لا يحصل إلا بأمرين:
الأمر الأول: إسلام الوجه الله؛ وذلك بأن يخلص الإنسان قصده؛ فلا يقصد بعبادة الله ـ تعالى ـ ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلاً، ولا محاباة لأحد، ولا توصلا لسلطان أو جاه أو مال، وإنما يقصد بذلك ربه ـ عز وجل ، وهذا المفهوم من قوله: «بلى من أسلم وجهه لله » . الأمر الثاني: أن العبادة لا تقبل ولا تنفع إلا بالإحسان؛ وهو متابعة النبي ﷺ؛ بحيث تكون العبادة على وفق ما جاء عن رسول الله

ودليل هذين الأصلين العظيمين قوله ـ تبارك وتعالى -: «فمن كان يرجوا لقاء ربه، فليعمل عملا صلحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداك [الكهف: 110]، وقوله - تعالى -: ﴿ ومن يشاقق

الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين تولي، ما تولى وتضلي، جهنم وساءت مصيرا [النساء: 115].
وقوله ـ تعالى ـ: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لك ذنوبك ﴾ [آل عمران: ٣١]. وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «إنها الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما

سـورة البقـرة

نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه»).

وثبت عنه ﷺ أيضا أنه قال: «قال الله ـ تعالى ـ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك؛ من عمل عملا أشرك فيه معي غيري؛ تركته وشركه»). وثبت عنه ﷺ أيضا أنه قال: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا؛ فهو
رد»)؛ فلابد لقبول العمل من شرطين:
أحدهما: الإخلاص الله.
والثاني: المتابعة لرسول الله ﷺ، وليعلم أن المتابعة لا تتحقق إلا إذا وافق العمل الشريعة في أمور ستة:
الأول: في الجنس.

(٣)

403

والثاني : في الصفة والكيفية.
والثالث : في القدر.

والرابع : في السبب.
والخامس : في العدد.

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوستي إلى رسول الله ﷺ، رقم (١)؛ ومسلم: كتاب الجهاد، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، رقم (١٩٠٧).
(٢)سبق تخريجه ص (٢٠)

(٣)سبق تخريجه ص (٤٩)

404] =

أحكام من القرآن الكريم

والسادس : في الزمان والمكان.
فمن شرع عبادة لسبب لم يجعله الشارع سببا لها؛ لم تقبل منه هذه العبادة، ومن تعبد الله بعبادة على سبب لم يجعله الشارع سببا لها؛ فإنها لا تقبل منه، ومن تعبد الله بجنس غير ما شرع؛ فإنه لا يقبل منه؛ مثل أن يضحي الإنسان بفرس؛ فإن ذلك لا يقبل منه أضحية، ولو كان الفرس أغلى؛ لأنه من جنس غير ما أذن فيه، ولو أنه خالف الشرع في القدر؛ بأن صلى الظهر خمسًا أو ثلاثا؛ فإنها لا تقبل منه؛ لأنه خالف الشرع في القدر، ولو خالف الشرع في الزمن؛ بأن ضحى الإنسان في غير أيام الذبح؛ فإنها لا تقبل منه، أو حج في رمضان؛ فإن ذلك لا يقبل منه؛ لأنه في غير الزمن المحدد شرعا، ولو خالف الشرع في المكان؛ لم تقبل منه العبادة؛ مثل أن يعتكف في غير المسجد؛ فإن هذا الاعتكاف لا يقبل منه؛ لأنه في غير المكان الذي عينه الشرع للاعتكاف، وكذلك لو خالفت العبادة الشرع في الهيئة والكيفية؛ بأن صلى صلاة منكسة؛ يبدأ بالسجود قبل الركوع، أو يتوضأ منكسا؛ يبدأ بالرجلين قبل بقية الأعضاء؛ فإن ذلك لا يصح.
٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من عمل عملا مبنيا على الإخلاص والمتابعة؛ فإن أجره يثبت له عند الله؛ لقول الله ـ تعالى -: فله أجره عند ربه.
٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من وفق للعمل على هذا الوجه؛

سورة البقرة

●

فإن ذلك من ربوبية الله له، الربوبية الخاصة؛ لقوله: «عند ربه. ٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنّ من قام بالعبادة على هذا الوجه ـ: الإخلاص والمتابعة ؛ فإنه لا خوف عليه في مستقبله، ولا حزن عليه في ماضيه؛ لأنه سوف يصل إلى النعيم والسعادة؛ قال الله - تعالى -: (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا

يعملون »
[النحل: ٩٧].
هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من لم يتّصف بهـذه الـصفة ـ أي: من لم يسلم وجهه لله وهو محسن ـ فإن عمله هباء، ليس فيه أجـر؛ فلـو عمل الإنسان عبادة أشـرك فيها مع الله؛ فهي مردودة عليه، ولـو عمـل عبادة ليست متمشية مع السنة التي جاء بها الرسول ﷺ؛ فإن عبادتـه مردودة عليه.
6ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من لم يتعبد الله بهذين الشرطين: الإخلاص والمتابعة؛ فإنه يحل به الخوف والحزن؛ الخوف في المستقبل، والحزن في الماضي؛ ولهذا يتمنى الكفار يوم القيامة أن يردوا إلى الدنيا؛ ليعملوا عملاً صـالحا، فيقولون: «يليتنا نرد ولا نكذب بعاينت ربنا وتكون من المؤمنين﴾ [الأنعام: ٢٧]، وقال الله ـ تعالى ـ: «بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكذبون
[الأنعام: ٢٨].

أحكام من القرآن الكريم
. ومن فوائدها وأحكامها: أن الثواب والأجر الذي يحصل لمـن أسلم وجهه الله وهو محسن ثواب عظيم؛ لأن الله أضافه لنفسه، فقـال: فله أجره عند ربه، *، والثـواب مـن العـظـيـم يـكـون عـظـيـا ولا
شك.

ثم قال الله ـ تبارك وتعالى -: ﴿ وقالت اليهود ليست النصرى على شيء وقالت النصري ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله تحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه تختلفون - .
ع
اليهود هم أتباع موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ والنصارى أتبـاع عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وكل منها يضلل الآخـر؛ كـا في هـذه الآية الكـريمـة: (وقالت اليهود ليست النصرى على شيء وقالت النصري ليست اليهود على شيء »؛ يضلل بعضهم بعضا. وهم يتلون الكتب»، وهم يعلمون من هو على الحق، ولا شك أن النصارى كانوا على الحق حين كانت ملتهم قائمـة قبـل بعثة الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأن اليهود كانوا على باطل؛ حيث كفروا بعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع أنه مرسل إليهم؛ لقوله - تعالى -: (وإذ قال عيسى ابن مريم ينبني إسراءيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من الثورية ومبشرا برسول يأتي من

بعدي اسمه أحمد ﴾ [الصف: 6]، وبعد أن بعث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم ـ كانوا كلهم على دين منسوخ، وليسوا على شيء؛ فإن الله ـ
تعالى ـ يقول: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الأخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران: 85]، وكانوا أولياء بعضهم لبعض؛ كا قال الله - تعالى : (يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصرى أولياء بعضهم أولياء بعض ﴾ [المائدة: 51]. وصارت النصارى كاليهود في كونهم علموا الحق ولم يتبعوه؛ قـال الله ـ تعالى ـ: «كذالك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم »؛ أي: قـال أهل الجهل والضلال مثل قولهم؛ أي: في أنهم على الحق، ومن سـواهم على الباطل، ولـيـس عـلى شيء، فالله تحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه تختلفون» ، إذا بعث الناس فإن الله يفصل بين الخلق مـن هـو

على الحق، ومن هو على الباطل.
أحكام وفوائد هذه الآية الكريمة:

407ا

ا- بيان عداوة اليهود والنصارى بعضهم لبعض، وأن كل طائفة منهم تضلل الطائفة الأخرى، ولكن هذه العداوة بعد بعثة محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صارت ولاية؛ كما قال الله ـ تعالى : (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ [الأنفال: 73]، وقال الله ـ تعالى ـ: (يأيها الذين ءامنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء

بعض ﴾ [المائدة: 51].

].

408 -

أحكام من القرآن الكريم

٢- ومن فوائدها وأحكامها: أنّ هذه المقالة التي قالـتـهـا الـيـهـود، وقالتها النصارى يقولها أيضا كل من كان جاهلا؛ أي: كل مـن كـان ذا

جهالة، وليس عنده علم؛ فإنه يقول مثل هذا القول الباطل الذي يريد أن يدحض به الحق.
3- ومن فوائدها وأحكامها: إثبات الجزاء يوم القيامة؛ لقول الله - تعالى -: ﴿ فالله تحكم بينهم يوم القيمة ؟. 4- ومن فوائدها وأحكامها: أن الذين اختلفوا في الكتاب وفي الرسل سوف يقضي الله ـ تعالى ـ بينهم يوم القيامة، ويبين من هو على الحق، ومن هو على الباطل، وقد ذكر الله ـ سبحانه وتعالى ـ في سورة النساء أنه يحكم بين الناس، وأنه لن يجعل للكافرين على المؤمنين
سبيلاً.

5- ومن فوائدها وأحكامها: إثبات يوم القيامة ـ وهو اليوم الآخر ؛ فالإيمان به أحد أركان الإيمان الستة؛ لقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم ـ لجبريل حين سأله أن يخبره عن الإيمان، فقال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» (١).

(١) تقدم تخريجه ص (٢٣١)

سورة البقرة

٤٠٩

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « ومن أظلم ممن منع مسجد الله أن يذكر فيها أسمه، وسعى في خرابها أولتيك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خايفين لهم في الدنيا جزئ ولهم في الآخرة عذاب عظيم و . وقوله: «ومن أظلم »؛ يعني: لا أحد أظلم ـ فالجملة استفهام بمعنى النفي -؛ فلا أحد أظلم من شخص أو طائفة تمنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه؛ أي: تمنع الناس من دخول مساجد الله ليذكروا فيها اسم الله - عز وجل ـ بالصلاة وغيرها. وسعى في خرابها »؛ أي: أن منع المساجد أن تدخل ويذكر فيها اسم الله خراب لها؛ فإن عمارة المساجد إنها تكون بها يقام فيها من ذكر الله، وبين الله - عز وجل ـ أن هؤلاء الذين منعوها وكان لهم السلطة سوف تدور عليهم الدوائر حتى لا يدخلوها إلا خائفين؛ أي: لا يدخلون هذه المساجد إلا وهم في خوف، وقلق، واضطراب من المؤمنين الذين آلت هذه المساجد إليهم. وقوله: «ما كان لهم أن يدخلوها إلا خايفين * هذا النفي يحتمل أن يكون المعنى ما كان لهم شرعا أن يدخلوها إلا خائفين، أو ما كان لهم قدرا أن يدخلوها إلا خائفين، والمعنيان كلاهما صحيح، ولهم في الدنيا جزى »؛ أي: عار وذل. (ولهم في الآخرة عذاب عظيم » فينالون بعد العز، والسلطة، والغلبة ذلا في الدنيا، وعذابا عظيما في الآخرة.

=410

أحكام من القرآن الكريم

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
ا- تحريم منع مساجد الله من أن يذكر فيها اسمه. ٢- ومن فوائدها وأحكامها: الإشارة إلى أن المساجد إنا بنيت لذكر الله - عز وجل -؛ لقوله: «أن يذكر فيها أسمه »، وقد جاءت السنة مصرحة بذلك؛ ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه مه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تزرموه دعوه»، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: «إنّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر؛ إنها هي لذكر الله - عز وجل - والصلاة، وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله ﷺ »(٢)

(ا)

3_ ومن فوائدها وأحكامها: الإشارة إلى أن ما يتعلق بأمور الدنيا من بيع، وشراء، وإجارة، ونحوها لا يحل إيقاعه في المسجد؛ ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتك... فإن المساجد لم تُبن لهذا»").

(1) أي: لا تقطعوه، والإزرام: القطع
(٢) رواه مسلم: كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، رقم (٢٨٥)

(٣) رواه مسلم: كتاب المساجد، باب النهي عن نشد الضالة في المسجد، رقم (568)، والترمذي، كتاب البيوع، باب النهي عن البيع في المسجد، رقم (١٣٢١).

سورة البقرة

411

4- ومن فوائدها وأحكامها: ذكر الله - عز وجل - يكون بذكر اسمه؛ وذلك يقتضي أن يكون

باللسان، وذكر الله ـ سبحانه وتعالى - يكون باللسان، ويكون بالقلب، ويكون بالجوارح.
أما ذكر الله بالقلب: فأن يكون الإنسان متفكرا متأملا في آيات الله ـ سبحانه وتعالى ـ الدالة على عظيم سلطانه، وما تقتضيه رحمته وحكمته.
وأما الذكر باللسان: فهو يتناول كل قول يقرب إلى الله ـ عز وجل ـ من قراءة القرآن، والتسبيح، والتكبير، والتحميد، والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم العلم، وغير ذلك من كل قول يقرب إلى الله ـ عز وجل ـ.
وأما الذكر بالجوارح: فيشمل كل فعل يتقرب به الإنسان إلى ربه؛ كالوضوء، والغسل، والصلاة، والصوم، والصدقة، وغير ذلك من أفعال الجوارح.
5- ومن فوائدها وأحكامها: أن عمارة المساجد إنا هي بذكر الله - عز وجل ـ وما يفعل فيها من الطاعة؛ لقوله: «أن يذكر فيها أسمه . والسعي في خرابها كما يشمل منع ذكر الله ـ تعالى ـ فيها يشمل أيضا الخراب الحسي؛ وذلك بهدمها حتى لا يقام الذكر في هذه البقعة؛ لقوله: «وسعى في خرابها ؟.
6- ومن فوائدها وأحكامها: البشرى للمؤمنين أن هؤلاء الذين

ع
سلطوا على المؤمنين؛ بمنعهم من مساجد الله أن يذكروا فيها اسم الله سوف تكون العاقبة عليهم؛ أي: على هؤلاء المتسلطين المانعين؛ لقوله: أولتيك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خايفين ، وهذه العاقبة تؤيدها آيات أخرى؛ مثل قوله ـ تعالى ـ: « تلك من أنباء الغيب توجيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فأصبر إن العقبة للمتقين ﴾ [هود: 49]، وقوله: « قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعقبة للمتقين ﴾ [الأعراف: ١٢٨]

ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن هؤلاء المتسلطين على عباد الله؛ بمنعهم من مساجد الله أن يذكروا فيها اسم الله ستنالهم عقوبتان: عقوبة في الدنيا؛ وهي الخزي ـ أي: الذل والعار ، وعقوبة في الآخرة؛ وهي العذاب العظيم.
٨ـ ومن فوائدها وأحكامها: التحذير من هذا العمل ـ أعني: منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه ـ بأن الإنسان سوف يعاقب مرتين: مرة في الدنيا، ومرة في الآخرة؛ كما ذكر الله ـ تعالى ـ في هؤلاء.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه
ها
ع
الله إن الله واسع عليم *
ويله المشرق والمغرب »؛ أي: له كل شيء؛ لأن كل شيء فهو إما

سورة البقرة

1413

مشرق وإما مغرب؛ فمغرب قوم يكون مشرق قوم آخرين وهكذا؛ فله المشرق
والمغرب، فأينما تولوا »؛ أي: تتجهوا فثم وجه الله »؛ أي: فهناك وجه الله ـ عز وجل ؛ «إن الله
واسع عليمه؛ أي: محيط بكل شيء، وواسع الصفات، وواسع الهبات، وواسع الفضل،
وعليته؛ أي: عليم بكل شيء؛ فالله ـ تعالى ـ يبين في هذه الآية أنه ـ تعالى ـ محيط بكل شيء،
وأن الإنسان مها تولّى؛ فإن الله ـ تعالى ـ محيط به، عالم به.
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:

ا ـ عموم ملك الله ـ عز وجل ـ في قوله: « ولله المشرق
والمغرب ».

٢- بيان أن هذا العموم لا يتأتى لأحد سوى الله؛ لقوله: ﴿ ولله المشرق والمغرب »؛ فإن
تقديم الخبر يفيد الحصر؛ كما قرر ذلك علاء
البلاغة.
٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الإنسان مهما تولى واتجه إلى شيء؛ فثم وجه الله، واختلف
المفسرون في المراد بوجه الله هنا : هل هو وجه الله الذي هو صفة من صفاته أم المراد
الجهة؟ فإن الوجه يأتي بمعنى الجهة، فيقال: وجهة، ووجه، وجهة؛ كما يقال: سافر فلان
إلى هذا

الوجه؛ أي: إلى هذه الجهة، والآية تحتملها جميعا؛ أي: القولين. ٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن
الإنسان إذا صلى إلى جهة مجتهدا

أحكام من القرآن الكريم

معتقدا أن هذه الجهة هي القبلة؛ فإن صلاته تصح؛ لقوله ـ تعالى -: فأينما تولوا فثم وجه الله ؟.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات وجه الله ـ سبحانه وتعالى - والواجب إجراء الآية على ظاهرها، وأن يعتقد المرء أن الله ـ سبحانه وتعالى . ـ وجها حقيقيًا يليق بجلاله وعظمته، ولا يماثل أوجه المخلوقين، وهكذا بقية صفاته كاليدين والعينين؛ فإن الواجب على المؤمن إثبات ذلك على حقيقته، لكن بدون أن يكيفه؛ أي: بدون أن يتصور له كيفية معينة؛ لأنه مهما بلغ الإنسان في التخيل؛ فإنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ أعظم مما يتخيله، ومن غير تمثيل؛ فلا يجوز أن يعتقد الإنسان أو يتصور أن وجه الله ـ تعالى ـ كأوجه المخلوقين؛ لأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.
6- ومن فوائدها وأحكامها: إثبات سعة الله - عز وجل -؛ أي: سعة علمه وإحاطته بكل شيء؛ وذلك أن كل الأشياء بالنسبة إليه - تعالى ـ صغيرة؛ كما قال الله ـ تعالى -: « يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فعلين ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وقال الله ـ تعالى : (وما قدروا الله حق قدره، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويت بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ [الزمر: 67]. - ومن فوائدها وأحكامها: إثبات العلم الله - عز وجل ، وعلمه -

ج

ج

سورة البقرة

٤١٥

تعالى ـ محيط بكل شيء؛ « إن الله لا تخفى عليه شيء في الأرض ولا في السّماء * [آل عمران: 5].
و يعلم خاينة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ [غافر: 19]، ﴿ ولقد خلقنا الإنسان وتعلم ما توسوس به نفسه ﴾ [ق: 16]. هـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب الحذر من مخالفة الله ـ عز وجل ـ

بترك أوامره أو فعل نواهيه؛ لأنه عالم ـ سبحانه وتعالى ـ بذلك، وعلمه بذلك يقتضي الحذر من مخالفته.

ثم قال ـ تعالى ـ: (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحته بل له ما في .
السموات والأرض كل له، فينتون و بديع السموات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴾ [البقرة: ١١٦، ١١٧]. وقالوا * الضمير يعود إلى كل من تفوه بهذه المقالة الكاذبة المنكرة من اليهود، والنصارى وغيرهم؛ فاليهود قالوا: عزيز ابن الله، والنصارى قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله، وكل هؤلاء قالوا فرية عظيمة، وإثما مبينا؛ ولهذا قال الله ـ تعالى ـ: وشبخته »؛ أي: تنزيها له أن يكون له ولد؛ لأن الله غني عن كل شيء، وهو مالك لكل شيء؛ والولد إنما يتخذه من كان محتاجا مفتقرا، أما الرب ـ عز وجل ـ فإنه ليس بحاجة إلى أحد؛ لأن له الملك المطلق، بل له ما في السموات والأرض؛ ولأن كل أحد خاضع الله، ذليل له

= 1416

أحكام من القرآن الكريم

منقاد لأمره الكوني، والمؤمن منقاد لأمره الشرعي؛ لقوله: «كله
قنتون * .

بديع السموات والأرض »؛ أي: خالقها ابتداء على غير

مثال سابق؛ فهو ـ سبحانه وتعالى ـ الذي خلق السموات والأرض، وهو قادر على كل شيء؛ فكيف تجعلون له ولدا وقد خلق كل شيء، وبدع السموات والأرض «وإذا قضى أمرا »؛ أي: قضاه قدرا وكونا؛ فإنما يقول له كن فيكون، كلمة واحدة لا تثنى مرة أخرى يقولها ـ جل وعلا ـ للشيء مها كان؛ فيكون في الحال، فليس بغريب أن يخلق الله ـ تعالى ـ عيسى ابن مريم بلا أب، « إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران: 59].
فوائد وأحكام هاتين الآيتين الكريمتين:

ففي الآية الأولى من الفوائد والأحكام:
١- بيان هذه الفرية العظيمة التي افتراها الظالمون على ربهم ـ جل وعلا ـ؛ وهي أن الله اتخذ

ولدا، وقد بينا أن اليهود قالوا: عزيز ابن الله، وأن النصارى قالوا: المسيح ابن الله، وأن المشركين قالوا: الملائكة بنات
الله.

٢- ومن فوائدها وأحكامها: بيان تنزيه الله - عز وجل - عن كل عيب ونقص؛ لقوله: «سبحانه ؛ ومن ذلك تنزيهه عن اتخاذ الولد. 3- ومن فوائدها وأحكامها: بيان كال غنى الله - عز وجل - عن

سورة البقرة

|417

اتخاذ الولد؛ حيث إنه - سبحانه وتعالى - مالك السموات والأرض وما
فيها.

٤- ومن فوائدها وأحكامها: أن جميع الخلق قانت الله، ومنهم: ،
عزير، والمسيح، والملائكة؛ كل قانت الله - عز وجل - ذليل له؛ فلا
يمكن أن يكون ولد له - سبحانه وبحمده.

وفي الآية الثانية من الفوائد والأحكام:
1- بيان أن الله - سبحانه وتعالى - لا ينبغي أن يتخذ ولدا؛ لأنه خالق السماوات والأرض؛ فهو مستغن عن الولد. ٢- ومن فوائدها وأحكامها: إقامة الدليل على بطلان الشبهة التي احتج بها النصارى على كون المسيح ابن الله؛ حيث قالوا: إنه خلق بلا أب، فأبوه هو الله، فبين الله - عز وجل - أنه خالق السموات والأرض، وهي أعظم من خلق البشر؛ كما قال - تعالى -: « لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ [غافر: 57]، وخالق السموات والأرض لا يمتنع عليه أن يخلق البشر. 3- ومن فوائدها وأحكامها: بيان كال قدرة الله - عز وجل - في قوله: «وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون . ٤- ومن فوائدها وأحكامها: أن الأمر مهما كانت عظمته؛ فإن الله - تعالى - قادر عليه بكلمة واحدة وهي كن»؛ فيكون كا أراد الله - عز وجل -؛ ولهذا لما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟

|418

قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة. هـ ومن فوائدها وأحكامها: إثبات القول الله، وأن الله يقول، وأن قوله بحروف؛ لقوله:كى*؛ فإن هذه الكلمة حروف، وفيه رد على من يقول: إن كلام الله - عز وجل ـ وقوله هو المعنى القائم بنفسه، وليس حروفا أو أصواتا تسمع، وإنها كلامه هو المعنى القائم بالنفس، وما يسمع من ذلك فإنه عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله، ولا شك أن هذا القول خطأ عظيم فاحش؛ فإن القول الذي يكون في النفس لا يطلق عليه اسم القول؛ بل لا بد أن يقيد؛ كما قال ـ تعالى ـ: ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله ﴾ [المجادلة: ٨].
أما القول عند الإطلاق فإنه القول الذي يسمع ويكون من حروف يسمعها من وجه إليه الخطاب، وقد قال الله ـ تعالى ـ في موسى ـ عليه الصلاة والسلام -: « وكلم الله موسى تكليمًا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ٥ وتدينه من جانب الطور الأيمن وقربته يجيا » [مريم: ٥٢]، وهذا . ـ أعني كون كلام الله - عز وجل ـ من حروف وأصوات مسموعة ـ هو

قول السلف، وأئمة الخلف، ولا عبرة بمن خالف طريقهم. 6 ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن كل شيء يسمع كلام الله ـ عز وجل ـ إذا وجه إليه الكلام؛ لأنه يوجه الأمر «كن» إلى الشيء المراد؛ فيكون على ما أراد الله ـ عز وجل ـ.

سورة البقرة

419

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أن تأتينا ايه كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشبهت قلوبهم قد بينا الاينت لقوم يوقنون .
قوله: « الذين لا يعلمون »؛ أي: ليس عندهم شيء من العلم، بل هم في جهل وجهالة: «لولا يكلمنا الله * يقولون ذلك لرسلهم؛ يطلبون آية يقترحونها على الله ـ عز وجل ـ وذلك أن يكلمهم الله ـ
تعالى ـ.

١٨

تأتينا ءاية » أي: علامة على صدق ما جاءت به الرسل،

فبين الله ـ عز وجل ـ أن هذا القول قد قاله من قبلهم. ولقد اقترحت قريش على رسول الله ﷺ آيات متعددة، * وقالوا لن
أن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا من أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهر خلالها تفجيرا مع أو تسقط السماء كما زعمت علينا كشفا أو تأتي بالله والملتبكة قبيلًا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقي في السماء ولن نؤمن يرقيك حتى تنزل علينا كتبا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولًا - وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدي إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولًا ﴾ [الإسراء: 90 - 94]

مع
فهم يطلبون آيات يقترحونها أن الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ جاءوا بآيات بينات؛ ما من رسول أرسله الله إلا أعطاه من

١٤٢٠

أحكام من القرآن الكريم

الآيات ما يؤمن على مثله البشر؛ قال الله ـ تعالى ـ: «كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم »؛ أي: مثل هذا القول الذي قالوه قاله من سبقهم، واقترحوا آيات على رسلهم؛ ومن ذلك قول بني إسرائيل لموسى: « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ [البقرة: 55]، تشبهت
قلوبهم * وإذا تشابهت القلوب تشابهت الأعمال؛ لأن الأعمال تصدر عن القلب؛ لقول النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»(١)، فمتى صلح القلب

ل
صلحت الجوارح، ومتى فسد القلب فسدت الجوارح، نسأل الله أن يصلح قلوب الجميع،
«تشبهت قلوبهم »، وإذا تشابهت قلوبهم تشابهت أقوالهم وأعمالهم؛ قال الله ـ تعالى ـ: «قد بينا الآيات لقوم يوقنون »؛ يعني: قد أظهرنا إظهارا يبين به الأمر. والايت »؛ أي: العلامات الدالة على صدق الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ، لكن لا ينتفع بها إلا الموقن (لقوم يوقنون »، أما من ليس بموقن، بل هو في شك وريب؛ فإنه لا تنفعه الآيات؛ كا قال الله ـ تعالى ـ: «وما تغنى الايت والتذر عن قوم لا يؤمنون ← [يونس: ١٠١]. وقال ـ تعالى ـ فيمن إذا تليت عليه آيات الله قال: أساطير

(١) تقدم تخريجه ص (٥٩).

الأولين: «كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ [المطففين: ١٤].
فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١ - بيان عظم عناد الكفار المحادين الله ورسله؛ لقوله: ﴿وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا ايه ؟؛ ووجه ذلك أن الله -

تعالى ـ آتى الرسل آيات يؤمن على مثلها البشر. ٢- ومن فوائدها وأحكامها: بيان كذب هؤلاء المعاندين؛ لأن طلبهم
هذا يتضمن ادعاءهم بأنهم لم تأتهم آيات، وهذا كذب محض؛ فالآيات جاءتهم، وبينت لهم، لكنهم ـ والعياذ بالله ـ قد حقت عليهم كلمة الله، ومن حقت عليه كلمة الله فإنه لا يؤمن؛ قال الله ـ تعالى ـ: إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون - ولو جاءتهم كل ءاية حتى يروا العذاب الأليم ﴾ [يونس: ٩٦،٩٧]. ٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن القلوب إذا تشابهت تشابهت الأقوال والأعمال؛ لقوله حين حكى عمن سبق أنهم قالوا كا قال المكذبون لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم -: «تشبهت قلوبهم

.
٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: الإشارة إلى أن القلوب هي الموجهة للبدن؛ لقوله: «تشبهت قلوبهم ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت

=

فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»(١).

5- ومن فوائدها وأحكامها: تشابه أعال الكفرة؛ أي: مشابهة لاحقيهم لسابقيهم.
6- ومن فوائدها وأحكامها: أن الله - سبحانه وتعالى ـ بين وأوضح الآيات التي تدل على صدق ما جاءت به رسله؛ لقوله ـ تعالى ـ: «قد بينا الأيت لقوم يوقنون »

- ومن فوائدها وأحكامها: أن هذه الآيات البينات بنفسها لا تتبين إلا لموقن؛ ويتفرع على هذه الفائدة: أن من كان عنده شك؛ فإن الآيات لا تتبين له ولا تظهر له، بل لا تزيده الآيات إلا عمى وضلالا؛
كما قال الله ـ تعالى : (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه، إيمنا فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيمينا وهم يستبشرون (ع) وأما الذين في قلوبهم مرضت فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كنفروت ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥]. هـ ومن فوائدها وأحكامها: الإشارة إلى أن الناس ينقسمون في آيات الله ـ تعالى ـ على قسمين: قسم موقن؛ فهذا ينتفع بالآيات التي آتاها الله الرسل، وقسم غير موقن، بل هو في شك، وأقبح منه من كان في عناد وإنكار؛ فإن هذا لا ينتفع بالآيات؛ لأن الله ـ تعالى ـ خص

(١) سبق تخريجه ص (٥٩).

من
الانتفاع بالآيات لقوم يوقنون، ومن ذلك ما يقوم بقلوب بعض الناس الشك في نفع بعض الآيات التي رتّب عليها فوائد؛ مثل قول النبي في آية الكرسي: «من قرأها في ليلة؛ لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح»، وإن بعض الناس يقرأ هذه الآية ولكنه في شك من هذا الخبر، أو يقول: أقرؤها وأجرب؛ فإن مثل هذا لا ينتفع بها أبدا؛ فلا ينتفع بها إلا من أيقن بأنه إذا قرأها لا يزال عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح، وهكذا بقية الآيات التي أخبر النبي ﷺ بشيء من فوائدها؛ فإن الواجب على المرء أن يتلوها وهو موقن بصحة ما أخبر به النبي - صلى الله عليه وآله وسلم ـ؛ حتى يتم إيمانه، وحتى ينتفع بها.
ثم قال الله ـ تعالى ـ: «إنا أرسلتك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم - .
المرسل هو الله - عز وجل ـ لخطاب للرسول ﷺ؛ فهو الرسول، وقوله: «بالحق» يحتمل أن يكون تبيانا للمرسل به؛ فإن ما جاء به الرسول ﷺ حق، وما سواه باطل، ويحتمل أن يكون تبيانا للرسالة؛ أي: أن رسالتك حق، ليس فيها شيء من الباطل، والمعنيان صحيحان؛

فرسالة النبي ﷺ حق، وما أرسل به من العلم، والإيان،

(١) رواه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣٢٧٥).

١٤٢٤

أحكام من القرآن الكريم

والعمل الصالح هو حق.
بشيرا ونذيرا * صفتان من صفات الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه بشير وأنه نذير؛ فهو بشير للمؤمنين، وهو نذير للكافرين؛ قال الله - تعالى -: « الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتب ولم تجعل له عوجا و قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصلحت أن لهم أجرا حسنا و ملكيين فيه أبدا لي وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ن ما لهم به من علم ولا لأبابهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ﴾ [الكهف:١-٥] .

فهو بشير للمؤمنين بالثواب العاجل والآجل، ونذير للكـــافرين بالعقاب العاجل والآجل، «ولا تسئل عن أضحب الجحيم»؛ أي: لا يسألك الله ـ تعالى ـ عن أصحاب الجحيم بعد إذ أنذرتهم؛ فإن سيئاتهم على أنفسهم، أما أنت فقد بلغت الرسالة،
وأديت الأمانة، ونصحت الأمة.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ إثبات رسالة النبي ﷺ؛ لقوله ـ تعالى ـ: «إنا أرسلتك ؟ . ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن رسالة النبي ﷺ حق؛ لقوله:
إنا
أرسلتك بالحق
3ـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب اتباع النبي ـ صلى الله عليه

سورة البقرة

١٤٢٥

وآله وسلم ـ؛ لكونه رسول الله، ولكون ما جاء به حقا، وضد الحق الباطل؛ فمن خالف النبي ﷺ

فهو على باطل، ثم إن هذا الباطل قد يكون شاملا لجميع أعماله؛ كالكافر بها جاء به الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وقد يكون الباطل في بعض أعماله؛ كمن فعل معصية لا تخرجه من الإسلام؛ فإن هذه المعصية تكون باطلا وما معه من الحق يكون حقًا.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم -
ليس له حق من الربوبية والتصرف في الخلق؛ إنما هو بشير ونذير. هـ ومن فوائدها وأحكامها: الحث على فعل ما يكون بشارة للعبد، وتلك هي الأعمال الصالحة، فإن من عمل عملا صالحا؛ فله البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة؛ له البشرى في الحياة الدنيا؛ لأن توفيق الله له لهذا العمل دليل على أن الله يسره لليسرى؛ فيبشر بذلك، ويفرح، ويسر؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح: «... من سرته حسنته، وساءته سيئته فذلك المؤمن»(1)؛ فأنت إذا رأيت الله ـ تعالى ـ قد وفقك للعمل الصالح فأبشر بالخير؛ قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار»، قالوا: يا رسول

(1)

رواه الإمام أحمد في مسنده (١٨/١)؛ والترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، رقم (٢١٦٥)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح، غريب من هذا الوجه...» ؛ والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٩١)؛ وانظر المستدرك، للحاكم (١/ ٥٨ - ٥٩)

أحكام من القرآن الكريم
الله، فلم نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: «لا، اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له»، ثم قرأ: (فأما من أعطى واثقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ← إلى آخر الآية [الليل: 5 ـ 7]).

=

/٤٢٦

وعلى هذا فينبغي للإنسان إذا رأى أن الله يسره للعمل الصالح، وهداه له، وسهله عليه أن يحمد الله على هذه النعمة، وأن يسر بذلك؛
قال الله ـ تعالى ـ في الحديث القدسي: «... يا عبادي، إنا هي أعمالكم -
أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها؛ فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك ـ أو قال: سوى ذلك ـ فلا يلومن إلا نفسه»(٢)، وإذا نفسه أن العمل الصالح ثقيل عليه، وأن نفسه تنقاد بسر

العمل السيئ فليرجع إلى الله ـ عز وجل ـ، وليتب إليه، وليحذر مما هو
وجد من
بسرعة إلى
عليه.

6-ومن فوائدها وأحكامها: أن رسـول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا يسأل عن ضلال الضالين، ومن كان من أصحاب الجحيم؛ لقوله ـ تعالى ـ: (ولا تسئل عن أصحاب الجحيم.
- رمن فوائدها وأحكامها: أن الإنسان إذا أدى ما عليه من إبلاغ الشرع والدعوة إليه؛ فإنه لا يناله من ضلال الضالين شيء، إنا يضلون

(1) أخرجه ـ بنحوه ـ البخاري: كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر، رقم (١٣٦٢)؛ ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، رقم (٢٦٤٧) (٢) رواه ـ ضمن حديث ـ مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧).

سورة البقـرة

١٤٢٧

على أنفسهم؛ قال الله ـ تعالى ـ لنبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [القصص: 56]، وقال - تعالى ـ: (إن عليك إلا البلغ ؟ [الشورى: 48]، وقال الله ـ تبارك وتعالى ـ: (فذكر إنما أنت مذكرات لست عليهم بمصيطر ع إلا من تولى وكفر ع فيعذبه الله العذاب الأكبريت إن إلينا إياهم ع ثم إن علينا حسابهم ﴾ [الغاشية: ٢١ - ٢٦]. ٥ ومن فوائدها وأحكامها: أن أصحاب الجحيم ـ الذين هم أهل الجحيم ـ لا يستفيدون برسالة النبي ﷺ شيئا؛ لأنهم قد حقت عليهم كلمة العذاب ـ والعياذ بالله.

٢٣

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصرى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولين أتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصيري ﴾ [البقرة: ١٢٠] .
يقول الله ـ تعالى ـ مخبرا عن حال اليهود والنصارى، وشدة معاداتهم لما جاء به الرسول

ﷺ: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصري حتى تتبع ملتهم »، وقد بينا ـ فيما سبق ـ أن اليهـود هـم أتبـاع موسى، وأن النصارى هم أتباع عيسى.
فاليهود أتباع موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وشريعتهم التي كانوا عليها نُسخت بشريعة عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ووجب

عليهم أن يؤمنوا بعيسى ويتبعوه، ولكنهم ـ والعياذ بالله ـ أبوا ذلك، وكفروا بعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وادعوا أنهم قتلوه وصلبوه، وقد أنكر الله ذلك عليهم في قوله: (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ [النساء: ١٥٧].
أما النصارى فهم أتباع عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهو آخر أنبياء بني إسرائيل، وليس بينه وبين محمد ﷺ رسول، وهم كانوا على دين حق حتى بعث النبي ﷺ، فلا بعث النبي ﷺ وجب
عليهم أن يتبعوه، فلا كفروا به صاروا كافرين حتى بعيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام ـ؛ لأن عيسى ابن مريم قد بشّرهم بمحمد ﷺ؛ كا ذكر الله ـ تعالى ـ ذلك في قوله: * وإذ قال عيسى ابن مريم يبنى إسراءيل إلى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من الثورية ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينت قالوا هذا سخر مبين * [الصف: 6]؛ فأحمد الذي بشر به عيسى ـ عليه الصلاة والسلام - محمد ﷺ؛ والدليل على هذا قوله: «فلما جاءهم بالبينت قالوا هذا سخر مبين *، ولكنهم كفروا بمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم - فكانوا كافرين بعيسى وبشارته؛ ولهذا لا يقبل الله دينهم، ولا ينفعهم هذا الدين الذي هم عليه يوم القيامة؛ قال الله - تعالى -: ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخنسرين ﴾ [آل عمران:
هو
85]، وقال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران: ١٩].

m

ويقول ـ تعالى ـ: « ولن ترضى عنك اليهود ولا النصرى حتى تتبع ملهم »؛ أي: دينهم الذي هم عليه؛ فاليهود يقولون: لا نرضى عنك حتى تكون يهوديا، والنصارى يقولون: لا نرضى عنك حتى تكون نصرانيا، قال الله ـ تعالى ـ: «قل»؛ أي: منكرا عليهم: «إن هدى الله هو الهدى»، وليس ما أنتم عليه أيها اليهود ولا ما أنتم عليه أيها النصارى، بل هدى الله هو الهدى؛ وهدى الله بعد بعثة الرسول محمد هو ما كان عليه محمد ﷺ، وفي قوله: «هو الهدى» ضمير فصل، وضمير الفصل يفيد إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما سواه؛ لأنه ـ أعني: ضمير الفصل ـ من أدوات الحصر. ثم قال الله - عز وجل -: «ولين اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير»؛ يعني: من اتبع أهواء هؤلاء اليهود أو النصارى، وهو ما يريدونه من أن يكون الناس نصارى أو يهودا، فمن اتبع هذا بعد ما جاءه من العلم برسالة محمد ؛ فإنه معرض نفسه لهذه العقوبة: ما له من الله من ولي يتولاه؛ فيحيطه با ينفعه، ولا نصير ينصره؛ فيمنعه مما يضره. فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
١ـ ومن فوائدها وأحكامها: التحذير الشديد من اليهود

والنصارى؛ لأنهم لن يرضوا عن الإنسان حتى يتبع ملتهم. ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: بيان أن اليهود والنصارى يرضون

بمن يتبع ملتهم، بل يفرحون بذلك، ويسرون به، ويستبشرون به. ٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الهدى لا يختص بأمة أو طائفة معينة؛ فليس الهدى لليهود فقط، ولا للنصارى فقط، بل الهدى هدى الله، فمن اتبع هدى الله على أي رسول؛ فقد اهتدى بهدى الله، ومعلوم أن محمدا ﷺ خاتم الأنبياء، وأنه جاء بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه، وأن شريعته نسخت جميع الشرائع؛ وعلى هذا نقول لليهود والنصارى: الملة الصحيحة ما كان عليه المسلمون؛ لأنها

هي هدى الله الذي بعث به محمدا ـ صلى الله عليه وآله وسلم. ٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: التحذير من اتباع أهواء اليهود والنصارى؛ أي: اتباع ما يهوونه من الباطل؛ لقوله ـ تعالى ـ: «ولين أتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن العقوبات إنها تقع على العبد بعد أن يأتيه العلم، وأما الجاهل فلا

عقوبة عليه؛ لقوله ـ تعالى ـ: «ولين اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ، وهذا الأصل يشهد له آيات متعددة؛ منها: قوله - تعالى -: * ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فقال الله ـ تعالى ـ: قد فعلت. ومنها أيضا قوله ـ تعالى : (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به، ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾ [الأحزاب: 5]، ومنها قوله - تعالى -: ﴿ وما كنا معذبين حتى تبعث رسولًا ﴾ [الإسراء: 15]، ومنها قوله ـ تعالى : (وما كان ربك مهلك

سـورة البقـرة

1431

ج
القرى حتى يبعث في أمها رسولًا يتلوا عليهم واينينا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظلموت ﴾ [القصص: 59]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهو أنه لا عقوبة إلا بعد العلم. 6-ومن فوائدها وأحكامها: أنه لا أحد يمنع ما أراد الله ـ عز وجل من خير أو من شر؛ ففي الحديث الصحيح عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم ـ في الأذكار التي تقال بعد الصلاة: «... اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»(1)؛ أي: لا ينفع صاحب الحظ والغنى حظه وغناه من الله - عز وجل ، بل الله ـ تعالى ـ محيط بكل شيء، وقادر على كل شيء.

ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه إذا كان هذا التحذير موجها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم -: «ولين أتبعت أهواءهم» إلى آخر الآية؛ فكيف بمن دونه؟! فإن هذا التحذير يشمله وأولى، ولقد قال الله ـ تعالى ـ لرسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم -: : * ولولا أن
تبتنك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذا لأذقنك ضعف الحيوة
وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥]. ثم قال الله ـ تعالى ـ: « الذين ءاتينهم الكتب يتلونه حق تلاوته .
أولتيك يؤمنون به، ومن يكفربه، فأولتيك هم الخسرون ﴾ [البقرة: ١٢١]

(١) رواه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم (٨٤٤)؛ ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، رقم (٥٩٣).

٤٣٢

الذين ءاتينهم الكتب»؛ أي: أعطيناهم الكتاب، والمراد بالكتاب هذا الجنس؛ فيشمل الكتاب الذي أنزله الله على محمد ؛ وهو القرآن، والكتاب الذي أنزله على موسى؛ وهو التوراة، والكتاب الذي أنزله على عيسى؛ وهو الإنجيل.
يتلونه حق تلاوته * ؛ أي: يتبعونه؛ والتلاوة يراد بها ثلاثة
أمور:
التلاوة اللفظية، والتلاوة المعنوية، والتلاوة الحكمية العملية. أما التلاوة اللفظية: فأن يقيم الإنسان حروف الكتاب الذي أنزل. وأما التلاوة المعنوية: فأن يقيم معناه؛ أي: معنى الكتاب الذي أنزل؛ وذلك بأن يفسره بها أراده الله ـ عز وجل -، لا بهوى نفسه؛ فلا يحرف الكلم عن مواضعه.
وأما التلاوة الحكمية العملية: فأن يؤمن بأخباره، ويقوم بأوامره،

ويتجنب نواهيه.
يتلونه حق تلاوته ؛ أي: التلاوة الحق، فهو من باب إضافة الصفة إلى موصوفها «أوليك يؤمنون به، * ؛ يعني: هؤلاء هم الذين يؤمنون به حقا، وأما من لم يتله حق تلاوته، إما في اللفظ أو في المعنى، أو في الحكم والعمل؛ فإنه لم يؤمن به، وقد نقص من إيمانه به بقدر ما نقص من تلاوته، وبين ـ عز وجل ـ في هذه الآية أن من كفر بالكتاب الذي آتاه الله إياه؛ فإنه خاسر؛ خسر الدنيا والآخرة خسرانا كاملا إن

سورة البقرة

٤٣٣

كان لم يؤمن به إطلاقا، وخسرانا ناقصا إن كان آمن به على وجه ينقص الإيمان؛ لأن الله ـ تعالى ـ حكم عدل، فمن كان معه الإيان كله؛ فله الربح كله، ومن كان معه الكفر وليس معه الإيمان؛ فله الخسران كله، ومن كان معه إيمان وكفر؛ فله الربح فيها آمن والخسران فيها كفر. فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1 ـ الثناء على من آتاه الله الكتاب فتلاه حق تلاوته، وفيها حقيقة الإيمان بالكتاب: أن يتلوه الإنسان حق تلاوته. ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من لم يقم حروف الكتاب فإنه لم يؤمن به حق الإيمان؛ لأنه لم يتله حق تلاوته؛ ويتفرع من هذه الفائدة وجوب تلاوة القرآن على الوجه الذي أنزل من حيث الترتيب، ومن حيث الحروف؛ فلا يبدل حرف بحرف، ولا تقدم آية

عـلى آيـة، ومـن
حيث الإعراب؛ فلا يفتح ما كان مضموما أو مكسورا ولا العكس. 3ـ ومن فوائدها وأحكامها: تحريم تفسير القرآن بالرأي والهوى؛ لأن من فعل ذلك فإنه لم يتل القرآن حق تلاوته باعتبار المعنى؛ ويتفرع على هذا بيان خطر ما ذهب إليه المحرفون لآيات الصفات؛ مثل قولهم: الرحمن على العرش استوى ﴿ [طه: 5]؛ أي: استولى. ومثل قولهم: بل يداه مبسوطتان * [المائده: 64]؛ أي: نعمتاه مبسوطتان وما أشبه ذلك؛ فإن هذا ـ بلا شك ـ تحريف للكلم عن مواضعه، وقد يكون هذا أشد من التحريف في آيات الأحكام العملية؛ وذلك لأن باب الصفات

أحكام من القرآن الكريم

من باب الخبر المحض الذي ليس للعقول مدخل في تفاصيله؛ فيجب تلقيه من كتاب الله، وصحيح سنة رسول الله ﷺ . فمن حرف نصوص الكتاب والسنة في آيات الصفات وأحاديثها؛ فهو أشد خطرا ممن حرفها فيما يتعلق بالأحكام البدنية؛ وعلى هذا فالواجب إجراء نصوص الصفات في الآيات والأحاديث على ظاهرها اللائق بالله بلا تمثيل ولا تحريف، فنقول: إن معنى قوله: « الرحمن على العرش استوى * [طه: 5]؛ أي: علا على العرش علوا يليق بجلاله وعظمته من غير تمثيل، ونقول في قوله تعالى -: بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة: ٦٤]: هما يدان حقيقيتان بها يأخذ وبها يقبض، ولكنها لا تماثلان أيدي المخلوقين، وهكذا بقية الصفات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يجب علينا أن نؤمن بها على ظاهرها لكن من غير تمثيل؛ لقوله ـ تعالى ـ: * ليس كمثله شي * [الشورى: 11]، ومن غير تكييف أيضا؛ لقوله ـ تعالى ـ: ولا يحيطون به، علما ﴿ [طه: 110]، وقوله ـ تعالى ـ: * ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئيك كان عنه مسئولا* [الإسراء: 36]؛ فلا يجوز لأحد أن يمثل لصفات الله بصفات خلقه، ولا يكيف صفات الله ـ عز وجل ؛ لأن ذلك قول على الله بلا علم.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن التلاوة تنقسم إلى قسمين: تـلاوة تامة؛ وهي حق التلاوة، وتلاوة ناقصة؛ وهي أن يتلوه بعض التلاوة.

سـورة البقـرة

١٤٣٥

5ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن من لم يقم بالعمل الصالح الذي دل عليه الكتاب؛ فإنه لم يتله حق تلاوته، فيكون ناقص الإيمان، وهذا هو طريق أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية أو غيرها من أسباب نقصه. 6 ـ ومن فوائدها وأحكامها: الثناء على المتبعين، بل على التالين لكتاب الله حق تلاوته؛ لقول الله ـ تعالى ـ: «أوليك يؤمنون به . ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الكافر بالكتاب الذي أنزله الله على رسله خاسر في الدنيا والآخرة، حتى وإن ربح في الدنيا أموالا، وقصورا، ومراكب، وأنعم عليه بالأهل والبنين؛ فإنه خاسر؛ لإطلاق الخسران في قوله: «فأولتيك هم الخسرون»، ولم يقل: في الدنيا، ولم يقل في الآخرة؛ فيكون ذلك عاما؛ قال الله ـ تعالى ـ: (قل إن الخسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيمة ألا ذالك هو الخسران المبين من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك تخوف الله به، عباده يعباد فائفون ﴾ [الزمر: ١٥ ـ ١٦].

ثم قال الله ـ تعالى ـ في سورة البقرة: « ينبني إسرءيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأتى فضلتكم على العلمين ﴾ [البقرة: ١٢٢] هذه الآية الكريمة سبق مثلها، بل شبهها في أول السورة؛ ينادي الله ـ تعالى ـ بني إسرائيل ـ وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن

1436

أحكام من القرآن الكريم

إبراهيم ـ، يناديهم مذكرا إياهم نعمته التي أنعمها عليهم، ويأمرهم بتذكرها، فيقول: «اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ، وقد أنعم الله على بني إسرائيل بنعم عظيمة؛ منها: الإيمان؛ حيث آمنوا بموسى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ. ومنها: أن الله أهلك عدوهم (فرعون وقومه)، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم.
ومنها: أن الله ـ تعالى ـ ظلل عليهم الغام وأنزل عليهم المن

والسلوى، ونعم الله عليهم كثيرة.
ومنها: أن الله فضلهم على العالمين؛ أي: جعلهم أفضل من العالين، وذلك في زمانهم؛ فإن بني إسرائيل الذين آمنوا برسلهم أفضل العالمين في وقتهم، أما بعد بعثة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ فإن أفضل الأمم أمة رسول الله ﷺ الذين آمنوا به؛ كا قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهوب عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران: 110]، وقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «نحن الآخرون السّابقون يوم

القيامة»(١)، يقول الله ـ تعالى ـ في هذه الآية مخاطبا بني إسرائيل ومذكرا لهم بهذه النعم: واذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العلمين ؟.

-

(١) رواه البخاري: كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة، رقم (٨٧٦)؛ ومسلم: كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، رقم (٨٥٥).

سورة البقـرة

437

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ أنه يجب على المرء أن يتذكر نعمة الله عليه؛ ليقوم بشكرها، ويشكر النعم تزداد، وبكفرها ترتفع؛ قال الله ـ تعالى ـ: (وإذ تأذت ربكم لين شكرتم لأزيدنكم ولين كفرة إن عذاى تشديد ﴾ [إبراهيم: 7]. ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه يجب على بني إسرائيل أن يؤمنـوا بمحمد ﷺ؛ لأنه مرسل إليهم، فعليهم أن يتبعـوه شـكرا الله ـ تعـالى ـ على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي تميـزوا بهـا عـن العـالمين في وقتهم.

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: تفاضل الناس؛ فالناس يتفاضلون عند الله في الأعمال، ويتفاضلون في الإيمان؛ قال الله ـ تعالى ـ: « هم درجت عند الله والله بصير بما يعملون ﴾ [آل عمران: 163]، وقال ـ تعالى ـ: «ولكل درجت مما عملوا وما ربك بغفل عما يعملون ؟ [الأنعام: ١٣٢]، وقال ـ تعالى ـ: « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
[البقرة: ٢٥٣].

وسئل النبي ﷺ: أي العمـل أحـب إلى الله ـ عـز وجـل ؟ فقال : «الصّلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»(١)؛ فـالأعمال تتفاضـل، والعاملون يتفاضـلون

(١) رواه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها، رقم (٥٢٧)؛ ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله ـ تعالى ـ أفضل الأعمال، رقم (٨٥).

بحسب ما عندهم من العلم، والإيمان، والعمل الصالح. ٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه يجب على من فضله الله على غيره بعلم أو مال أو عمل من الشكر ما لا يجب على من هو دونه؛ وذلك أن الناس قسمان: قسم أنعم الله عليهم فابتلاهم بالنعم؛ ليشكروا أو يكفروا، وقسم آخر ابتلوا بالمصائب؛ ليعلم الله ـ تعالى ـ هل يصبرون أم لا يصبرون؟ ولكل فيها ابتلي به وظيفة؛ فمن ابتلي بالخير فعليه وظيفة الشكر، ومن ابتلي بضده فعليه وظيفة الصبر، وكلا عظمت النعم كان الشكر عليها أوجب.

ثم قال الله ـ تعالى ـ: « واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفيعة ولا هم ينصرون) «واتقوا» ؛ واحذروا يوما » ؛ هو يوم القيامة ولا تجزى نفس عن نفس شيئا ؟ ؛ لا تغني عنها شيئا حتى الوالد لا يغني عن ولده شيئا، والولد لا يغني عن والده شيئا؛ كما قال الله ـ تبارك وتعالى ـ في سورة لقمان: « ينأيها الناس اتقوا ربكم وأخشوا يوما لا تجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ﴾ [لقمان: 33]، وقال ـ تعالى ـ: (يوم يفر المرء من أخيه ابن وأمه، وأبيه ع وصحبته، وبنيه به لكل بتري منهم يومين شأن يغنيه ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].
وقوله: «ولا يقبل منها عدل»؛ أي: لا يقبل منها ما تدفعه عدلا؛

سورة البقرة

439

أي: فدية عنها * ولا تنفعها شفعة؛ والشفاعة هي التوسط للغير لجلب منفعة أو دفع مضرة؛ ففي يوم القيامة لا تنفع الشفاعة أحدا إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا، ولا هم ينصرون »؛ أي: ولا هم
يمنعون من عذاب الله.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
ا ـ وجوب الحذر من عذاب يوم القيامة؛ لأنه هو المراد بقوله: «واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ؟ .

٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: أنه في يوم القيامة لا ينفع أحد غيره شيئا بخلاف الدنيا؛ فإنه قد ينفعه بشفاعة أو غيرها، أما في الآخرة فلا. ٣ـ ومن فوائدها وأحكامها: وجوب الحذر من هذا اليوم العظيم الذي لا تنفع فيه قرابة، ولا ينفع فيه الفداء، ولا تنفع فيه الشفاعة؛ وإنها الإنسان وعمله.
4. ومن فوائدها وأحكامها: نفي نفع الشفاعة لمن ليس من أهلها؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ولا تنفعها شفعة»، أما من كان من أهل الشفاعة فإن الشفاعة تنفعه، وليعلم أن الشفاعة قسان: قسم عام، وقسم خاص، والخاص هو الذي لا يقوم به إلا محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم -؛ وهي الشفاعة العظمى التي يتراجع فيها الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ حتى تصل إلى محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فإن الناس يوم القيامة يلحقهم من الهم والكرب ما لا يطيقون، فيأتون

١٤٤٠

أحكام من القرآن الكريم

إلى آدم يطلبون منه الشفاعة فيعتذر، ثم إلى نوح، ثم إلى إبراهيم، ثم إلى موسى، ثم إلى عيسى، حتى تنتهي إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ محمد؛ فيقوم ويشفع بإذن الله - سبحانه وتعالى، وهذه خاصة بالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم -.
وقسم عام: تكون للرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولغيره من المؤمنين من الملائكة والبشر؛ ومنها: الشفاعة للميت بالصلاة عليه؛
قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -: «ما من رجل مسلم يموتُ فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه»(١)، وهذه عامة ـ كما قلنا ـ تكون للأنبياء والصالحين من البشر، وتكون كذلك للملائكة.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: قطع آمال المشركين الذين يعبدون الأصنام، ويتخذونها شفعاء عند الله؛ فإنها لا تنفعهم يوم القيامة خلافا لما يتوهمونه من أنها تنفعهم؛ حيث يقولون: * ما تعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [الزمر: 3]، وقال - تعالى -: (ويقولون هؤلاء شفعتؤنا عند الله ﴾ [يونس: ١٨]؛ فلا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا.

(١) رواه مسلم: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه، رقم (٩٤٨).

سورة البقرة

١٤٤١

ثم قال الله ـ تعالى : (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمت فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظلمين *

-

[البقرة: ١٢٤].
يقول الله ـ تعالى ـ: «وإذ ابتلى إبراهيم » ؛ أي: اختبره؛ وإبراهيم عليه السلام هو ابن آزر، وهو خليل الرحمن ـ سبحانه وتعالى ؛ يخبر الله ـ تعالى ـ أنه ابتلاه بكليات، وإذ * هنا متعلقة بمحذوف، والتقدير : واذكر إذ ابتلى إبراهيم؛ أي: اذكر للناس هذه القصة العجيبة الدالة على فضل إبراهيم؛ ابتلاه الله ـ تعالى ـ بكلمات؛ والكلمات هذه كلمات شرعية ابتلاه الله ـ تعالى ـ بها؛ وهي الأوامر والنواهي، ولم يبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ عين هذه الكلمات ولا نوعها، لكننا نعلم أنها كلمات تكليفية قام بها إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ على الوجه الذي ابتلاه الله ـ تعالى ـ بها حسب ما يرضي الله ـ عز وجل ؛ ومن ذلك: أن الله ـ تعالى ـ أمره أن يذبح ابنه إسماعيل بعد أن بلغ معه السعي؛ كما قال الله ـ تعالى : (وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين و رب هب لي من الصلحين فبشرته بغلم حليم ات فلما بلغ معه الشعي قال يبنى إنى أرى في المنام أني أذحك فانظر ماذا ترى قال يتأبت أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصبرين * فلما أسلما وتله للجبين (وندينه أن يتإبراهيم و قد صدقت الرءيا إنا كذالك نجزي المحسنين (إن
ع

١٤٤٢

أحكام من القرآن الكريم

هذا هو البلتؤا المبين ﴿ [الصافات: ٩٩-١٠٦] (١). فابتلي الله - تعالى - إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بكلمات: أوامر ونواه؛ «فأتمهن»، وهذا هو محل الثناء، لما ابتلي بذلك أتمهن على الوجه الذي يرضى به الله ـ عز وجل ؛ فأثابه الله ـ تعالى ـ ذلك الثواب العظيم: «قال إني جاعلك للناس إماما »؛ أي: قدوة يقتدي بك الناس. قال ومن ذريتي »؛ يعنى: واجعل من ذريتي إماما، أو اجعل من ذريتي
أئمة، وقال لا ينال عهدي الظلمين ، فتعهد الله له بذلك إلا أنه استثنى فقال: «لا ينال عهدي

الظلمين » ، ومن أكبر الأئمة - بل هو أكبر الأئمة ـ من ذريته محمد ﷺ؛ فهو إمام المتقين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بل هو إمام الأنبياء ، وإن كان آخر هم؛ كما تبدى ذلك في قصة الإسراء والمعراج؛ حيث صلى بهم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ إماما، «قال لا ينال عهدي الظلمين »؛ أي: من كان ذا ظلم لنفسه بالإشراك بالله؛ فإنه لا يمكن أن يكون إماما.

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1ـ أن الله أمر نبيه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يذكر للناس ما حصل من الابتلاء لإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ؛ والفائدة من ذلك: الاقتداء به؛ أي: بإبراهيم؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: «ثم أوحينا

(1) أسلا: أي: انقادا لأمر الله ـ تعالى ، وتله للجبين: أي: تله على وجهه؛ ليذبحه من قفاه.

سورة البقرة

443

ا
إليك أن أتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾ [النحل: ١٢٣]. ٢ـ ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة إبراهيم ـ عليه الصلاة
والسلام ـ، وأنه إمام؛ لقوله ـ تعالى ـ: «إني جاعلك للناس إماما ؟. 3ـ ومن فوائدها وأحكامها: شفقة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام على ذريته؛ حيث قال: «ومن ذريتي *، وهذا يشبه من بعض الوجوه ما سأل موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ربه ـ جل وعلا ـ أن يشرك أخاه هارون في الرسالة.

٤ـ ومن فوائدها وأحكامها: أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أعطى إبراهيم ما سأل؛ بأن يجعل من ذريته أئمة، لكنه استثنى من ذلك الظالم؛ فإنه لا يكون إماما.

هـ ومن فوائدها وأحكامها: أن كل من كان أقوم الله ـ تعالى ـ بما أمر به كان أحرى بالإمامة من غيره؛ وذلك لأن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنما كان إماما؛ لأنه أتم ما ابتلاه الله به؛ ولذلك قال النبي - عليه الصلاة والسلام -: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنا»(1).

(١) رواه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة، رقم (673).

١٤٤٤

أحكام من القرآن الكريم

6 ـ ومن فوئدها وأحكامها: كراهية الله ـ تعالى ـ للظلم؛ ولذلك لم يجعل لظالم إمامة.

من
ثم قال الله ـ تعالى ـ: (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطايفين والعيكفين والركع السجود * * [البقرة: ١٢٥].
قوله: «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس » متعلق بمحذوف تقديره: واذكر إذ جعلنا؛ ومعنى جعلنا: صيرنا، والمراد بالبيت: بيت الله الحرام (الكعبة).

١٢٠

مثابة للناس ؛ أي: مرجعا يرجعون إليه ويثوبون إليه، وأمناء يأمنون به؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: « أولم يروا أنا جعلنا خرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ﴾ [العنكبوت: 67]، ثم أمر الله - سبحانه - وتعالى ـ أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى، ومقام إبراهيم ـ معروف ـ شرقي الكعبة المعظمة، وسُمي مقاما؛ لأنه قام عليه حين بناء الكعبة؛ لما ارتفع البناء وضع هذا الحجر، فصار يرتفع عليه؛ من أجل إتمام البناء، ومازال هذا المقام محفوظا إلى يومنا هذا.
وقوله: «مصلى »؛ أي: مكانا للصلاة، وقد فسّر النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ذلك بفعله حينا انتهى من الطواف ـ طواف القدوم ، فتقدم إلى مقام إبراهيم، فقرأ: «واتخذوا من مقام إبراهيم

سورة البقرة

١١٤٤٥

مصلى»، فصلى خلف المقام ركعتين، وبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ في هذه الآية أنه عهد إلى إبراهيم وإسماعيل؛ أي: عهد عهدا ألقاه إلى إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليها الصلاة والسلام

ـ وإسماعيل هو أكبر أولاد إبراهيم، وهو من سريته هاجر، وقد أبقاهما ـ عليه الصلاة والسلام ـ في هذا المكان، أبقاهما؛ أي: أبقى إسماعيل وأمه في هذا المكان حتى شب، وكبر، وأتاه الأولاد الذين هم العرب المستعربة، فكان إسماعيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع أبيه في هذا المكان، فأمره الله ـ عز وجل ـ أن يطهر بيته للطائفين، والعاكفين، والركع السجود؛ قال: «وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطايفين والعكفين والركع السجود ، وسيأتي ذكر بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة
المعظمة.

وقوله: «للطايفين » ؛ أي: الطائفين بهذا البيت والعكفين ؛ أي: في المسجد «والركع السجود »؛ أي: المصلين، وإنا بدأ بالطائفين؛ لأنهم أخص بهذا المكان؛ فإن الطواف لا يصح إلا في الكعبة، ولا يشرع إلا بالكعبة، ثم ثنى بالعاكفين؛ لأنهم أخص من المصلين ـ وإن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد، فلا يكون في كل أرض، ثم ثلث بالركع السجود؛ أي: المصلين؛ لأن ذلك أعم؛ فإن الصلاة تصح في كل مكان من الأرض إلا ما استثني من ذلك؛ قال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم -: «... وجعلت لي الأرض مسجدا

١٤٤٦

أحكام من القرآن الكريم

وطهورا»)، وذكر الركوع والسجود؛ لأنها ركنان من أركان الصلاة؛ قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم ـ للرجل الذي صلى ولكنه لم يطمئن في صلاته: «...ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا»(٢).

فوائد وأحكام هذه الآية الكريمة:
1 ـ أن الله ـ تعالى ـ جعل البيت مثابة للناس وأمنا؛ أي: مرجعا لهم وأمنا؛ ومن ذلك أنهم يترددون إليه في كل موسم حج، وفي غير موسم الحج؛ فأفئدة الناس تهوي إلى هذا المكان للحج، والعمرة، وغيرهما من الطاعات.

٢- ومن فوائدها وأحكامها: أن مكة بلد آمن، وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «... إنّ مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس؛ فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرة...» (٣)؛ فلا يحل القتال في مكة لأحد إلا لرسول الله ﷺ حين الفتح فقط، فهي لم تحل لأحد قبله، ولن تحل لأحد بعده؛ ولهذا يحرم

القتال في مكة المكرمة إلا على سبيل الدفاع عن

(١) رواه البخاري: كتاب التيمم، باب وقول الله تعالى: « فلم تجدوا ماء فتيمموا ﴾، حديث رقم (٣٣٥)؛ ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (بدون)، رقم (٥٢١). (٢) تقدم تخريجه ص (٣٨).
(٣) رواه البخاري: كتاب العلم، باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، رقم (١٠٤)؛ ومسلم: كتاب الحج، باب تحريم قتلها وصيدها...، رقم (١٣٥٤).

النفس؛ فإن الله ـ تعالى ـ يقول: ﴿ ولا تقتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقتلوكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم ﴾ [البقرة: 191].

3ـ ومن فوائدها وأحكامها: الأمر باتخاذ مصلى من مقام إبراهيم، وقد بينا أن النبي ﷺ بين ذلك بكونه صلى خلف المقام ركعتين، وقرأ: «واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى . *
واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في وجوب هاتين الركعتين؛ فمنهم من قال: إنها واجبتان؛ لأن الله ـ تعالى ـ أمر بها، وبينها النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بفعله، والأصل في الأمر الوجوب. ومنهم من قال: إنها سنة؛ لأنها من توابع الطواف، والمشروع في هاتين الركعتين أن يخففها، وألا يمكث بعدهما عند المقام، وأن يقرأ فيها في الركعة الأولى بعد الفاتحة: * فل يتأيها الكفرون * وفي الركعة الثانية بعد الفاتحة * قل هو الله أحد ، وبهذا نعرف أن ما يفعله بعض الناس من التطوع خلف المقام من غير طواف، أو التطوع بأكثر من ركعتين، أو إطالة الركعتين، أو الجلوس بعدهما في هذا المكان لقراءة القرآن، أو للذكر، أو للدعاء غير مشروع؛ لأن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أحرص الناس على الخير بلا شك، ومع ذلك فقد صلى خلف المقام ركعتين خفيفتين ثم انصرف؛ ولأن هذا المكان يختص بالطائفين الذين يصلون ركعتين، فكون الإنسان يبقى فيه بدون سبب شرعي فيه شيء من الجناية على غيره، ولكن لو سألنا سائل: إذا كان

المطاف مزدحما، وكان الطائفون يطوفون من وراء مقام إبراهيم، فهل للإنسان الحق أن يصلي ركعتين بين الطائفين، فيعيق سيرهم ويؤذيهم أم ليس له الحق في ذلك؟
الجواب: أنه ليس له الحق في ذلك؛ لأن حق الطائفين أولى بالمراعاة من حق المصلي؛ إذ إن المصلي يمكنه أن يصلي بعيدا عن مكان الطواف، فيصلي ركعتين، ويجعل المقام بينه وبين البيت، ولو كان في آخر صحن المطاف، بل ولو كان تحت السقف، لكن الطائف ليس له إلا هذا المكان، وبهذا نعرف خطأ من يفعلون هذا الفعل، تجدهم يصلون خلف المقام مع ازدحام المطاف، واحتياج الناس إلى الطواف، فمثل هؤلاء لا حق لهم في هذا المكان ما دام الطائفون محتاجين إليه. 4- ومن فوائدها وأحكامها: تعلية شأن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام -؛ حيث أمرنا الله ـ تعالى ـ أن نتخذ مقامه مصلى، وهذا
من جملة ما يترتب على الإمامة التي قال الله ـ تعالى ـ فيها: * إني جاعلك للناس إماما * .
من

هـ ومن فوائدها وأحكامها: عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل ـ أي: وصى إليها ـ وأمرهما بأن يطهرا بيته للطائفين، والعاكفين، والرئع
السجود.
6ـ ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة إبراهيم وإسماعيل؛ حيث أوكل إليها هذا الأمر العظيم.

سورة البقرة

١٤٤٩١

- ومن فوائدها وأحكامها: فضيلة الطواف؛ لقوله: «طهرا بيتي للطايفين»، ولا شك أن الطواف من الأعمال الجليلة الفاضلة؛ ولهذا كان ركنا في الحج والعمرة؛ فلا يتم حج الإنسان ولا عمرته إلا أن يطوف بالبيت.

ج
٨- ومن فوائدها وأحكامها: وجوب تطهير البيت للطائفين، والعاكفين، والركع السجود، وتطهير البيت ينقسم إلى قسمين: تطهير معنوي، وتطهير حسي؛ أما التطهير المعنوي: فأن يطهر من الشرك والمعاصي؛ وذلك لأن الشرك نجاسة؛ كما قال الله ـ تبارك وتعالى -: يأيها الذين ءامنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ [التوبة: ٢٨]؛ فلا يجوز أن يركن أحد في هذا البيت إلى الإشراك بالله - عز وجل -؛ وهو أن يدعو نبيا، أو

وليا، أو ملكا، أو غيره من دون الله - عز وجل -؛ فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء؛ ولهذا قال الله ـ تعالى : (يأيها الذين امنوا إنما المشركون تجس فلا يقربوا المسجد الحرام ﴾ [التوبة: ٢٨]، فنهى أن يقربوا المسجد الحرام فضلا عن أن يكونوا في البيت الحرام. والطهارة الحسية: أن يطهر من الأقذار؛ من البول، والغائط، والدم، وما أشبه ذلك من الأشياء النجسة؛ فالواجب أن يطهر منها، فهذا الحكم ـ أعني التطهير من النجاسة الحسية ـ ثابت للمسجد الحرام ولغيره من المساجد؛ ولهذا لما بال الأعرابي في مسجد النبي ﷺ في المدينة أمر النبي ﷺ بذنوب من ماء فأهريق عليه.